



الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

23/رمضان/1433

السبت 11/8/2012

الأربعون النووية

إذا لم تستح فاصنع ما شئت

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ الْبَذْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ)).

[رواه البخاري].

جاء في حديث للنبي صلى الله عليه وسلم رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)), [مسلم].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا وَإِنَّ خُلُقَ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ)), [ابن ماجه].

لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا: أي يشهر ويعلم به.

قال العلماء: هناك شيء لتخصيص الحياء من قبل النبي صلى الله عليه وسلم بل من قبل كل الأنبياء؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى)).

هذا الخلق جاء به كل الأنبياء وتوارثه الناس حتى علق في تربيتهم وأخلاقهم.

درس العلماء الأخلاق الإسلامية فلاحظوا أن أفضل خلقٍ يتحلى به المرء هو الحياء، وأن أسوء خلقٍ يعلق بالمرء الكذب.

فإذا تخلق المرء بالحياء منعه حياؤه عن كل سوء فتراه يمتنع عن الخيانة، والاعتداء، وعقوق الوالدين، وأذية الناس، والحرمان، وعن كل السوء في هذه الحياة...

وبالمقابل لو أن إنساناً كان كذاباً فتراه يرتكب كل الأذية ثم يقول: أنا لم أؤذي، تراه يعتدي على الأعراض ثم يقول: أنا أدافع عن الأعراض، تراه يقتل ثم يقول: كنت أدافع عن نفسي.

الكاذب يفعل كل شيء، ينتهك كل شيء، يعتدي على كل شيء، يسيء إلى كل شيء، ثم يكذب؛ لذلك قالوا: أسوأ الأخلاق الكذب، وأحسن الأخلاق الحياء.

**الحياء: (هو انطواء من النفس عند ارتكاب محرم أو مكروه).**

تنطوي نفسه ولا تنشرح ولا تنبسط ولا ترتاح إذا دعي إلى حرام أو مكروه؛ لذلك هذا الحياء يمنعه من ارتكاب الحرام.

إذا قيل له: اذهب إلى الزنا، ترى نفسه تنطوي وتزعج بحيث لا يستطيع أن يقرب هذه الفاحشة.  
إذا قيل له: ارفع صوتك في الطريق بالمناداة على صديقك الذي يمشي أمامك تراه ينطوي ويقول: أستحي أن أصرخ في الطريق.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: (لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا، وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا صَحَّابًا فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ)، [الترمذي والإمام أحمد].

إذا ذهب هذا الحياء تجدد المرء مرتكباً للمكروهات، مقتحمًا للمحرمات.  
فمن ذهب حياؤه تجده يقف على شرفات الأبنية لينظر إلى حرمت بيت الجيران، فإذا قيل له ألا تستحي؟! تراه يضحك.

ترى قليل الحياء يركب سيارته ويرفع المذياع إلى أعلى صوت فيشتتمه كل الجيران ويلعنونه، فتراه يضحك ولا يشعر بشيء بل تراه مسروراً بفعله.

**كيف لأحدنا أن يربي في نفسنا الحياء؟**

**الحياء نوعان: حياءً فطرياً، وحياءً مكتسب.**

**1-** **حياءً فطرياً:** كل الناس يولدون وقد وضع الله تعالى فيهم الحياء، فعزز عند ابنك هذا الحياء.

أب يرى ابنه في موقف غير لائق، أو سمعه يتكلم كلمة لا تليق مع أخته، فالواجب على الأب أن لا يكسر له حياءه، بأن يقول له: سمعت مقالتك وسأحاسبك حساباً عسيراً، لا.. بل دعه يستحي منك وتنطوي نفسه من رؤيتك، ثم نبهه من غير أن يشعر أنك سمعته.

لو أنك رأيت ابنك وهو يدخن محتبئاً، فعليك أن لا تكسر عليه حياءه، فهو يهابك وتنطوي نفسه أن يدخن أمامك، بل دعه يستحي منك ثم عليك أن توصل له الرسالة والنصيحة والتنبية في مرةٍ لاحقة دون أن تقول له أنا رأيته عندما فعلت كذا؛ لأن الحياء إذا كسر فستجده يقتحم في المحرمات.

**2-** **حياءٌ كسبي:** وهو ينمو من أمرين اثنين: العلم والصحبة.

**أ. العلم:** فإذا علمت من هو الله الذي تعبد علمت قوته، وسمعته، وبصره، ووجوده، ومعيته، هبَّت رب العالمين والوقوع في المعاصي أو المكروهات.

تشاهدون أناساً يحرصون جداً ألا يمدوا أقدامهم باتجاه القبلة حتى ولو كان وحيداً، أو مع أهل بيته، فما الذي جعل نفسه تنطوي من مَدِّ الأقدام باتجاه القبلة؟ ما منعه هو علمه بجلال رب العالمين، وعلمه بشعائر الله وأن هذه الكعبة من شعائر الله.

**هل يجوز مَدُّ القدمين باتجاه القبلة؟!**

نعم.. يجوز لكنه مكروه، فالعلم بجلال الله عز وجل، وبعظمة شعائر الله، وبقول الله تعالى:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، [الحج: 32]، جعلت نفسه تنطوي.

تسمع عن أناس يسألوننا كثيراً هل يجوز وضع المصحف في غرفة النوم؟!

هو جائز، لكن العلماء استحبوا إكرام المصحف، ومن جملة إكرامه أن لا يكون في مكان يتعرى فيه المرء.

وهكذا أيها الإخوة تجد أن من زاد علمه بالله تعالى، وبجلاله، وبعظمته، وبأمره، ونهيهِ، زاد حياؤه من الله.

من زاد علمه بنعم الله عز وجل يستحي أن يرتكب المحرمات، يقول: كيف سأرتكب محرمات لا يرضاها الله وقلبي بيده يحرّكه كيفما شاء؟!

أما الجهل فيجعل المرء يعتدي على كل المحرمات ولا يشعر بأنه فعل شيئاً؛ لأنه جاهل. مطلوب من كل أخ فينا أن يكون له مرجع أو مجلس علم في كل أسبوع مرة واحدة على أقل تقدير، وإلا فمن أين تتعلم دينك؟!

أخاف عليك أن تقع وتقتحم في المحرمات وأنت لا تدري أنها حرام، فكم من إنسان يرتكب المحرمات ثم يقول وهل هذا حرام؟!

ترى شاباً خطب فتاةً، وأعطاهما خاتماً لتضعه وقرؤوا الفاتحة، وقالوا: نُجري العقد -إن شاء الله- بعد ثلاثة أشهر وفي أثناء هذه المدة، تراه يتحدث معها في الهاتف بكلام يُتحدث به الأزواج، فَيَبْئُثُها أشواقه وحبّه وما إلى ذلك، ويأخذها إلى المطاعم والزيارات... فما حكم كل هذه الأفعال؟! كلها حرام؛ لأنه في الشرع والقانون: قراءة الفاتحة، وإعطاء الخاتم، وتسليم المهر لا يعتبر زواجاً أو خطبة، فالخطبة الشرعية هي وعدٌ بالزواج، أما لو عقدت عليها العقد لصارت مثل الزوجة، فلك أن تقول لها ما شئت، وأن تفعل ما شئت، وأن تذهب بها أين شئت. العلم ساعده على أن تنطوي نفسه عن ارتكاب الحرام، لكن عندما يكون جاهلاً تراه يقتحم في المحرمات من غير أن يدري أنه مقتحم لها.

**ب. الصّحبة:** إذا كان أصحابك من أهل الحياء لألبسوك خلق الحياء، أما إذا كان جلساؤك من أهل الاقتحام في حرّات الله فأنت ذاهب في هذا الاتجاه.

قالوا: (عدوى الروح إلى الروح أسرع من عدوى الجسد إلى الجسد).

وقيل: (الطبع يسرق من الطبع) بدون أن تدري.

يقول الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾، [هود: 113].

قال بعض المفسرين في تفسير هذه الآية: إذا جالستم أهل النار وأحببتموهم، وكانت النتيجة

﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾.

وقال بعضهم: في هذه الآية ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هي النار، (وليسوا أهل النار)، فإذا ركن أحدنا

إلى النار فستمسسه النار.

فاحذر أن تجالس قليل الحياء لئلا يمسك شيء من أخلاقه.

جاءني شاب له من العمر خمس وثلاثين سنة وهو يبكي، فقال: طلقت زوجتي اليوم، ولا أعلم

كيف خرجت هذه الكلمة من فمي مع أنه لا يوجد في عائلتي، أو عائلة زوجتي، أو من خلال تربيتي أو حتى في خاطري ذكر لهذه الكلمة!

قلت له: هل لك أصحاب؟ قال: نعم، قلت: أجلس مع أصحابك في كل أسبوع مرة؟ قال: نعم، قلت: هل يوجد من أصحابك من يحلف بالطلاق، أو يردد كلمة طلاق؟ قال: نعم، قلت: هذا من هذا.

إن الصاحب عجيب فإنه يستطيع أن يأخذك باتجاه زيادة القرب من الله عز وجل ورفعة الأخلاق، أو يأخذك بالاتجاه المعاكس.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **((إِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا بَغِيضًا مُبْغِضًا))**، [البيهقي].

إذا وجدت ابناً يصرخ في وجه أبيه، أو يضع على هاتفه صوراً ساقطة، أو ترى صوراً في غرف البنات لا يضعها شريف، أو امرأة مسلمة تضع صورة رجل غريب وتتغزل به أمام زوجها، كيف وصلت ابنة المسلمين إلى هذا الوضع؟! كيف وصل ابن الإسلام إلى هذا المكان؟! لم يصل هؤلاء إلى ما هم عليه إلا لأنهم جانسوا وصاحبوا أصحاباً يفعلون هذه الأمور.

عندما تخرج البنات، وهن شبه عاريات، يضعن حجاباً وعلى وجوههن الأصباغ، ويسرون مع أمهاتهن أو آبائهن، نزعت النخوة من قلوب الرجال، فإن لم يرجعوا إلى إيمانهم فسيكون لهم ما كان لمن سبقهم، فترى ثلث المواليد في أميركا ليسوا شرعيين.

**((لَمْ تَلْقَهُ إِلَّا بَغِيضًا مُبْغِضًا))** ترى الناس يكرهونه، فيوضع له في قلوب الناس البغضاء.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرْنَانِ جَمِيعاً فَإِذَا زُفِعَ أَحَدُهُمَا زُفِعَ الْآخَرُ))**، [الحاكم والبيهقي].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَجُلٍ وَهُوَ يُعَاتِبُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، يَقُولُ: إِنَّكَ لَتَسْتَحْيِي حَتَّى كَأَنَّهُ يَقُولُ قَدْ أَضَرَّ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **((دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ))**، [البخاري].

هل يجوز للرجل المسلم أن يكشف عورته؟

لا يجوز له ذلك، حتى لو كنتم رجال مع بعضكم.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ الْفُشَيْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: ((أَحْفَظُ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ))، فَقَالَ: الرَّجُلُ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: ((إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ فافْعَلْ))، قُلْتُ: وَالرَّجُلُ يَكُونُ خَالِيًا؟ قَالَ: ((فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ))، [الترمذي].

هناك قانون في الفقه الإسلامي غير موجود في كل قوانين الدنيا، ولم يفكر فيه أي تشريع قانوني، وهو باب النظر وأحكامه بالفقه الإسلامي.

هناك صحائف طويلة في كتب الفقه اسمها أحكام النظر فلا يوجد قانون في كل الدنيا يحاسبك على النظر، لكن الإسلام يحاسبك عليه.

هناك حكم نظر الرجل إلى الرجل، حكم نظر الرجل إلى المرأة، حكم نظر المرأة إلى الرجل، حكم نظر المرأة إلى المرأة، حكم النظر إلى الصغير، حكم النظر إلى الصغيرة، حكم النظر إذا كان لضرورة من حكم أو معالجة أو للقضاء، هناك حكم النظرة الأولى، وهناك تفريعات وفروع واختلافات فقهية، ولكل دليله وفي المسألة كلام طويل.

الإسلام يرقى بك ليجعلك إنساناً كبيراً جداً، أما إذا لم يكن هناك التزام في الدين فسيهبط الإنسان إلى أسفل السافلين.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَتُسَبِّدُونَ لِلَّذِي هُوَ أَذْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾، [البقرة: 61]، أتركون

شريعتي، وأوامري لتتبعوا مذاهب شرقية وغربية؟!

مثال ذلك كمثال رجل له وزير من أقاربه فقال له ذلك الوزير: إذا أردت القيام بشيء فأخبرني، فلم يسمع كلامه وقام بسؤال صديقه وترك قريبه الوزير.

ولله المثل الأعلى فالله أعطاك أوامره وتعاليمه فإذا اتبعت تعاليم شرقية وغربية وتركت تعاليم الله ثم خسرت فأنت من ستدفع ثمن هذه الخسارة.

ما الفرق بين الحياء والخجل؟

الحياء: هو انطواء في النفس يمنعك من اقتحام المحرمات والمكروهات، وهو محمودٌ، وفضيلة ونحن مدعوون إليه.

الخجل: هو خوفٌ يمنعك من فعل الواجبات والمسئونات، وهو مرض نفسي مطالبون بأن نعالج أنفسنا منه.

قد يكون أحدنا جالساً مع أصحابه فيؤذن عليهم الظهر فيستحي أن يصلي فهذا ليس بحياء ولكنه خجل وخوف وبجاجة لعلاج نفسي حتى يذهب.

كان هناك مهندس يجلس مع أصحابه، فقدموا له خمرأً -ولم يكن من شاريه- فاستحيا فشرب معهم.

أحدهم يزور صديقه -وهو صائم- فيقول له: لا أرغب بذلك، قل له: أنا صائم نحن في رمضان. أحدهم تأتي امرأة لتصافحه فيصافحها ويقول: استحييت فصافحتها، هذا مريض بحاجة لعلاج عندك، فكان عليه أن يقول لها: أنا لا أصافح النساء، اعتز بدينك يا رجل فأنت مسلم لا تصافح النساء، هكذا علمنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وختاماً عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَقُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا لَنَسْتَحْيِي قَالَ: ((لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى، وَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحَى مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ)).

[الحاكم والإمام أحمد والبيهقي].

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: ((أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحِيَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ قَوْمِكَ))، [البيهقي].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.